جامعة تكريت
كلية التربية – سامراء
قسم التاريخ

المعوقات الطبيعية والبشرية للنشاط التجاري خلال العصر العباسي

جامعة تكريت – كلية التربية /سامراء – قسم التاريخ

الدكتور
عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد:

فإن النشاط التجاري بشقيه الخارجي والداخلي في العصر العباسي لم يكن نشاطا عاديا وسهلا ، بل كانت هناك بعض المعوقات التي تصادف هذا النشاط وتعيق من حركته في بعض الاحيان ، وتكمن طبيعة هذه المعوقات بأنها طبيعية او بشرية ، يتبين اثرها على النشاط التجاري نتيجة وجودها في طرق التجارة البحرية والبرية ، فمثلت هذه المعوقات اخطارا حقيقية اثرت بشكل سلبي على حركة التجارة (الدولية والمحلية) ومن جملة الاخطار الطبيعية التي كانت تتعرض لها طرق التجارة البحرية ؛ وهي الاخطار الخارجة عن سيطرة وقدرة الانسان ، كالعواصف والاعاصير وغيرها في حين تمثلت الاخطار البشرية بالاخطار التي تكون بفعل الانسان ، كالقراصنة والخارجين على القانون وغيرها .

اما الطرق البرية فإن المعوقات الطبيعية التي كانت تؤثر على حركة التجارة فيها قد تمثلت ؛ بوجود السلاسل الجبلية الوعرة ، والعواصف الثلجية ، ووجود المناطق الصحراوية القاحلة التي تعد من موانع حركة التنقل ، بيد ان المعوقات البشرية على الطرق البرية قد تمثلت ؛ باللصوص ، والفتن والحركات الداخلية .

ومن هذا المنطلق كان عنوان البحث قد اتسم بـ ((المعوقات الطبيعية والبشرية للنشاط التجاري خلال العصر العباسي)) وقد اشتمل على مقدمة ومبحثين رئيسين هما ؛ المبحث الاول : المعوقات الطبيعية ، والمبحث الثاني : المعوقات البشرية ، تلحقهما خاتمة ، ثم قائمة بهوامش البحث ومصادره ومراجعه .

وقد استخدم الباحث المصادر والمراجع الممكنة لانجاز هذا البحث ومنها ؛ المصادر التاريخية والجغرافية ، والمعاجم اللغوية ، وغيرها من المصادر والمراجع المعتمدة لاخراج البحث الموسوم اعلاه بهذه الحلة .

والله الموفق ...

الباحث

المبحث الاول : - المعوقات الطبيعية

لم يكن النشاط التجاري الخارجي نشاطا عاديا سهلا باستطاعة أي تاجر ان يقوم به ، بل انه يواجه صعوبات متعددة ومتنوعة وغير موقوتة ، لها تأثيرها على حركة التجارة واستمرارها .

ومن الاخطار الطبيعية التي كانت تتعرض لها طرق التجارة البرية وجود السلاسل الجبلية الوعرة والتي يصعب اجتيازها بسهولة ، والعواصف الثلجية ، والامطار الغزيرة التي تعيق حركة القوافل التجارية ، وكذلك المناطق الصحراوية القاحلة والتي تعد موانع طبيعية في التنقل ، بسبب وجود الرمال المتحركة وانعدام المياه الضرورية للقوافل التجارية ، واشهر الطرق البرية ؛ الطريق من مأرب إلى البتراء ، وطريق مأرب -جرها ، وطريق جرها -البتراء ، وطريق البحر العربي والمحيط الهندي والممالك العربية الجنوبية ، وطريق يمر عبر الطريق الشرقي من الربع الخالي ، وطريق القوافل التجارية التي تربط العراق ببلاد الشام ، وطريق مكة – العراق ، وطريق الحرير( )

.

اما طرق التجارة البحرية فقد كانت معرضة الى كثير من المعوقات الطبيعية كالعواصف والاعاصير الممطرة والدوامات( ) الاحياء البحرية ، التي تؤدي الى تحطيم المراكب ثم غرقها وموت من فيها وبالتالي فقدانها السلع والبضائع التجارية( ) ، واهم هذه الطرق (طريق الرحلة الطويلة ، والطريق الساحلي ، وطرق التجارة من الخليج العربي الى شرق افريقيا والبحر الابيض المتوسط)( ) ، لذا كان الملاحون العرب يخضعون في رحلاتهم الى نظام الرياح الموسمية وتحديد اوقات سفرهم بدقة متناهية ، كي لا يتعرضون لتلك الاخطار الطبيعية( ) .

ويؤكد (الجاحظ) ان التجار العرب كانوا يوزعون بضائعهم على عدة سفن ليتحاشوا الخسارة الكبيرة في حالة حملها على سفينة واحدة قد تتعرض للغرق( ) .

ولهذا فالسفن القاصدة الى الصين كانت تهبط الخليج العربي قبل ان تشتد عواصفه ، في شهر ايلول او شهر تشرين الاول ، وتعبر المحيط من مسقط الى ساحل مليبار على الشاطئ الغربي للهند ، مع الرياح الموسمية الشمالية الشرقية( ) .

ومن المعوقات الطبيعية التي تواجه حركة التجارة البحرية ، وجود الجبال تحت سطح الماء في البحر الاحمر بخاصة ، مما يؤدي الى اصطدام السفن اذا مرت بالقرب منها ، ونادرا ما تسلم السفن من اخطارها( ) ، ووجود مناطق في الخليج العربي تسمى الدردور ، وهي مناطق يدور فيها الماء فاذا ما دخل مركب بحري يستمر بالدوران حتى يتحطم ويتعرض الى الغرق( ) .

ويصف (الاصطخري) تلك المعوقات في حديثه عن بحر القلزم :((وبحر القلزم مثل الوادي به جبال كثيرة قد علا الماء عليها ، وطرق السفن بها معروفة لا يهتدى فيها الا بربان ، يتخلل بالسفينة في اضعاف تلك الجبال بالنهار ، فأما بالليل فلا يسلك ، وماؤه صاف ترى تلك الجبال فيه))( ) . اما في وصفه المناطق الدوارة في البحر فيقول : ((وفي هذا البحر ما بين القلزم وايلة( ) مكان يعرف بتاران ، وهو اخبث ما في هذا البحر من الاماكن ، وذلك انه دوارة ماء في سفح جبل ، اذا وقعت ريح على ذروته انقطعت الريح على قسمين ، فتنزل الريح على شعبين ... فتتقابل فيثور الماء ، وتتلبد كل سفينة تقع في تلك الدوارة باختلاف الريحين وتتلف فلا تسلم واحدة ... وبقرب تاران موضع يعرف بجبيلات ، يهيج وتتلاطم امواجه باليسير من الريح ، وهو موضع مخوف ايضا ، فلا يسلك بالصبا( ) مغربا وبالدبور( ) مشرقا ...))( ) .

اما الزلازل فتعد من اخطر المعوقات الطبيعية التي تعيق حركة النقل البحري ، إذ تعرض ميناء سيراف( ) الى خطر زلزال مدمر استمر الى سبعة ايام وذلك في عام (هـ/) ، ادى الى تدمير الميناء ، وفي وقت كان يعد من اكبر المراكز التجارية في منطقة الخليج العربي الذي ينافس البصرة من حيث اهميته التجارية( ) .

المبحث الثاني :- المعوقات البشرية :

- اللصوص :

لم تكن جميع الطرق البرية والنهرية والبحرية سالكة ، وانما تقع فيها كثير من حوادث السلب والسرقة والقتل على الرغم مما كانت تقوم به الحكومات من صيانة الطرق والمحافظة عليها وحمايتها من جهة ، ووجود الادلاء والفرسان الذين يرافقون القوافل لحمايتها من اللصوص والمتمردين والقراصنة من جهة اخرى( ) .

لقد ساعدت طبيعة المنطقة الجنوبية من العراق ولا سيما في منطقة البطائح على ايواء اعداد من اللصوص والمتمردين ، فقد ذكر (ابن بطوطة) بأنهم تعرضوا في البصرة الى السلب في الموضع الذي يعرف بالعذار وقد وصف ذلك بقوله : ((وهو غابة قصب في وسط الماء يسكنها اعراب يعرفون بالمعادي . وهم قطاع الطريق ، ... خرجوا على جماعة من الفقراء تأخروا عن رفقتنا فسلبوهم حتى النعال والكشاك ( ) ، وهم يتحصنون بتلك الغابة ويمتنعون بها ممن يريدهم))( ) .

ويشير (الصولي) عن حادثة سلب اخرى تعرضت لها التجارة البرية عن طريق بغداد –البصرة – خراسان بقوله : ((ان قافلة كبيرة خرجت من بغداد ومتجهة الى خراسان زمن الخليفة المقتفي (- هـ/ -) وقد حملت من الاموال ما قيمته ثلاثة الاف دينار ، من العين والورق ، ومن الامتعة ما تعادل قيمته هذا المقدار ، وقد تعرضت لها جماعة من قطاع الطرق

جلهم من الاكراد الشادنجان وتكاثرت اعدادهم فلم يتمكنوا من صدهم ، فاستولوا على ما بالقافلة من الاموال والامتعة وكان معظم ما بها من المال لاصحاب بيجكم القائد التركي (هـ/) ، وقيل ان لاحد افرادها المعروف بعدل حاجب بيجكم من المال ما يقدر بحوالي ثلاثين الف دينار ، وتكلف احد التجار في هذه القافلة لكراء الجمال فقط لحمل امتعة حوالي الف دينا))( ) .

وقد شهد الطريق الشمالي الذي يربط بغداد بالموصل انتشار جماعة من العيارين الذين لعبوا دورا كبيرا في شل حركة التجارة بين بغداد والموصل ، إذ قاموا بالاستيلاء على القوافل والسفن التجارية القادمة من الموصل وبغداد وبالعكس( ) .

وقد اشتهر بين هؤلاء العيارين سراج اليلبقي ، إذ كان يرأس قوة ، ولديه مجموعة من القوارب يقطع بها الطريق على السفن التجارية ، وتمكنت الحكومة من القاء القبض عليه وامرت بقطع رأسه في سنة (هـ/)( ) .

وفي سنة (هـ/) استولى جماعة من العيارين على بعض السفن الصاعدة والمنحدرة من الموصل ، وفي نفس السنة تمكنت جماعة من اهل السواد من القبض على جماعة من العيارين فقتلوهم وبعثوا برؤوسهم الى بغداد( ) .

اما طريق بغداد -واسط فشهد هو الاخر نشاطا للصوص اختصوا بسلب القوافل المارة على الطريق ، وكان (ابن حمدون في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) اشهرهم ، ويصفه (متز) بأنه شهم لعدم التعرض للفقراء واصحاب البضاعة القليلة ، حتى صار مضربا للمثل( ) .

الا ان لصا مشهورا آخر بجانبه ، عرف (بالكرخي) ، كان يقطع الطريق المؤدي الى واسط ، وتعاظم خطره حتى هابه الناس وانقطع الطريق ، ولم يأمن الناس على انفسهم واموالهم الا بعد ان قبضت الحكومة عليه ونفذ فيه حكم الاعدام( ) .

ويشير (الدوري) الى ان الخليفة العباسي المطيع (- هـ/ -) كان حريصا على تأمين طرق التجارة من اخطار اللصوص ، إذ اوكل تلك المهمة الى احد الاشخاص من بني حمدان سنة (هـ/) ، للمحافظة على طرق التجارة ليلا ونهارا في السهول والجبال وفي البر والبحر ، وذلك بترأسه فرق متعددة تضم اشخاصا معروفين بالشدة والامانة ، يتم توزيعهم في انحاء العراق لحراسة القوافل التجارية النهرية والبرية ، وحتى يوفر الامان لأهل التجارات ، وعابري السبيل على انفسهم واموالهم( ) . وقد اخبرنا (ابن بطوطة) ان الامر لم يقتصر على العراق فحسب ، إذ انه صادف في طريقه من حصن (فيد)( ) وهو متجه من المدينة المنورة الى العراق ، بعض العرب يتولون مهمة حراسة القوافل( ) وكان (ابن بطوطة) شديد الحذر من الادلاء حينما يصحبهم مخافة ان يغدر به الدليل فيقتله ، ويسلب ماله وثيابه( ) .

– القراصنة :

تعد القرصنة من اخطر المعوقات البشرية التي تتعرض لها حركة التجارة في الخليج العربي وبشكل اوسع في المحيط الهندي( ) ؛ حيث كان القراصنة يقومون بالهجوم على السفن التجارية المارة في هذه المياه ، وبعدها يأوون الى الشعاب والجزر الموجودة في البحر بالقرب من سواحل السند والهند والذين عرفوا بإسم (الميد والكرج)( ) ، وامتد نفوذهم الى جزيرة سقطرى( ) والتي اتخذوا منها مركزا لرصد حركة السفن الذاهبة الى شرق افريقيا ومهاجمتها وسلبها( ) .

ويذكر (المقدسي) سقطرى بأنها : ((صومعة في البحر المظلم وهي سد البوارج ومنها تخاف المراكب ، ولم تزل في هلع حتى جاوزتها))( ) ، ويلاحظ ان القراصنة كانوا يتجولون بجوار الموانئ لا يخرجون بعيدا عنها في خضم المياه ، ويبدو ان ذلك امرا تحتمه القرصنة ، ففي خضم المحيط قد تشغلهم الرياح وامواجه العاتية عن اعمال القرصنة ، فضلا عن اتساع المجال

امامهم ، مما يدع للسفن فرصا كثيرة للهرب منهم ، اما عند مدخل الموانئ فلا بد من مرور السفن امامهم ، وكانوا عادة يمكثون بجوار الشعاب المرجانية او فوقها ، إذ كان غاطس المركب صغيرا ، وذلك لان منطقة الشعاب المرجانية عادة ما تكون هادئة ساكنة الامواج لان الامواج تتكسر عليها وتخف حدتها( ) .

وانتشر القراصنة ايضا في الخليج العربي عند البحرين( ) خاصة( ) ، إذ كانوا يهاجمون السفن المارة الى البصرة والقادمة منها ، وكذلك السفن التجارية الذاهبة الى الهند والصين وشرق افريقيا( ) . ويشير (حوراني) بأنهم كانوا يصلون في غارتهم في بعض الاحيان الى مصب نهر دجلة( ) . وكذلك انتشر القراصنة في كجرات في الهند ؛ إذ كان هذا الساحل مثوى لأشد انواع القراصنة كما ان ساحل بلاد المليبار في الهند لم يخل من القراصنة ايضا ، وكذلك الجزيرة الصغيرة وبلاد بنجالة (البنغال) بين هنور وفاكنور ، إذ يشير (ابن بطوطة) الى ذلك بقوله : ((لما وصلنا الى جزيرة صغيرة بين هنور وفاكنور خرج علينا الكفار في اثني عشر مركبا حربيا ، وقاتلونا قتالا شديدا وتغلبوا علينا ، فأخذوا جميع ما عندي مما كنت ادخره للشدائد ، واخذوا الجواهر واليواقيت واخذوا ثيابي والزوادات التي كانت عندي ... ولم يتركوا لي ساترا خلا السراويل))( ) .

كما انتشر القراصنة في سرنديب ، والتي يرد ذكرها بإسم (سيلان) ، إذ انها مرسى لعتاة المفسدين من البحر لرسو مراكبهم ، إذ يؤكد (بن بطوطة) عند كلامه عن جزيرة سيلان بقوله : ((ولما وصلناها قال البحرية ، ان هذا المرسى ليس في بلاد السلطان الذي يدخل التجار الى بلاده آمنين ، انما هذا مرسى في بلاد السلطان ايري شكروتي ، وهو من عتاة المفسدين ، وله مراكب تقطع البحر فخفنا ان ننزل بمرساه))( ) .

ويضيف (الرامهرمزي) عن خطورة سرنديب بقوله : ((ان من البحار الخبيثة الصعبة الشديدة التي تقل فيها السلامة بحر غباب في سرنديب وهو ثلاثمائة فرسخ وفيه من التماسيح امر عظيم

. وفي ساحل هذا البحر النمور والبوارج (أي القراصنة الذين يركبون البوارج) ، الذين يقطنـه فـي هذا البحر اذا ظفروا بمركب اكلوا اهله وهم شر قوم ، وليس في سائر الاماكن من يقطن البحار مثلهم . فالمركب الذي يقطع هذا البحر متى اخذه البوارج اكلوا اهله ، وان غرق لم يمض عليه ساعة حتى يأكل اهله التماسيح ، وان انكسر بقرب البر وصعد اهله الساحل قطعهم النمور في ساعة واحدة))( ) .

ولا شك ان القراصنة كانت لهم قوة بحرية كبيرة ومنظمة بحيث يذكر احد الربانية انه اثناء ابحاره من كله الى عمان هاجمته سبعون بارجة للقراصنة ، فحاربهم ثلاثة ايام الى ان استطاع التخلص منهم ، ويصفهم اخر بأنهم كانوا يطوفون في البحر بأكثر من مائة مركب صغير ، ويستولون على جميع السفن وينهبونها ، ولعل القرصنة كانت حرفتهم المستديمة لانهم سكنوا البحر بأولادهم وازواجهم ، ولكي يحكموا الخناق على السفن بحيث لا تفلت سفينة واحدة منها ، فإنهم كانوا يلقون مراسي سفنهم مع جعل المسافة بين السفينة والاخرى خمسة اميال وبهذا تشغل عشرون سفينة متسعا مداه مئة ميل ، فإذا ظهرت سفينة امام واحدة منها اعطت اشارة بالنار او الدخان فتقرب مراكبهم بعضها مع بعض ، وتستولي على السفينة وهي تحاول المرور( ) .

وكانت السفن التجارية التي تسلك الطريق الى بلاد الصين تتزود بما يكفيها في رحلتها الطويلة من ماء ومؤن في مينائي صحار ومسقط على سواحل عمان ، ثم تواصل رحلتها عبر طريق ((ديرة المطلق))( ) المار بالمحيط الهندي الى كولم ملي جنوب مليبار ومنها الى الصين ، والتي اثنى عليها (ابن بطوطة) بقوله : ((انها آمن البلاد واحسنها حالا للمسافرين فإن الانسان يسافر منفردا مسيرة تسعة اشهر وتكون معه الاموال الطائلة فلا يخاف عليها ، وترتيب ذلك ان لهم في كل منزل ببلادهم فندقا عليه حاكم يسكن به جماعة من الفرسان والرجال ، فإذا كان بعد المغرب والعشاء الاخرة جاء الحاكم الى الفندق ومعه كاتبه فدعا كل انسان باسمه وكتب به تفصيلا ، وبعث معهم من يوصلهم الى المنزل الثاني له ، ويأتيه ببراءة من حاكمه ان الجميع قد

وصلوا اليه ، وان لم يفعل طالبه بهم ، وهكذا العمل في كل منزل من حد الصين الى خان بالق ، وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج اليه المسافرون من الازواد وخصوصا الدجاج والاوز وما الغنم فهي قليلة))( ) .

وفي موضع آخر يذكر (ابن بطوطة) : واذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الصين ، خير في النزول عند تاجر من المسلمين المتوطنين هناك او في الفندق . فإن احب النزول عند التاجر حصر ماله ، وضمنه التاجر المستوطن وانفق عليه منه بالمعروف . فإن اراد السفر بحث عن ماله ، فإن وجد شيء منه قد ضاع اغرمه التاجر المستوطن الذي ضمنه ، وان اراد النزول بالفندق ، سلم ماله لصاحب الفندق وضمنه ، وهو يشتري له ما احب ويحاسبه( ) .

وكان من عادة السلطان فاكنور في بلاد المليبار ان يجعل ابنه رهينة في المراكب حفظا على راكبيه الذين ينزلون الى الساحل او يقابلونه ، فقد قال (ابن بطوطة) : ((وسلطان فاكنور كافر اسمه باسدو ... ولما ارسينا على فاكنور بعث سلطانها الينا ولده ، فأقام بالمركب كالرهينة ، ونزلنا اليه ، فأضافنا ثلاثا بأحسن ضيافة تعظيما لسلطان الهند ، وقياما بحقه ، ورغبة فيما يستفيده في التجارة مع اهل مراكبنا ومن عادتهم هنالك ان كل مركب يمر ببلد ، فلا بد من ارسائه بها ، واعطائه هدية لصاحب البلد يسمونها حق البندر))( ) .

وكانت الخلافة العربية العباسية مهتمة جدا بتقوية اسطولها البحري لحماية السفن التجارية ، فضلا عن تزويد القوافل التجارية البحرية بالمقاتلة ، إذ يشير (المقدسي) : انه كان في كل مركب عدد من المقاتلة والنفاطين( ) وذلك لصد ما يتعرض له التجار والمسافرين من هجمات اللصوص والقراصنة( ) . واحيانا كان التجار يقومون باستئجار المقاتلين لكي يقوموا بالدفاع عنهم وعن تجارتهم في حال التعرض للاخطار ، ويسمون اليماسرة( ) . وكان عددهم في بعض الاحيان يصل الى اكثر من عدد الركاب من التجار في السفن وخاصة في الحملات التي ارسلوها في سنة (هـ/) (هـ/) الى مياه الخليج العربي لهذا الغرض إذ

ذكرهم (المسعودي) بقوله : ((وربما كان في المركب اربعمائة نفس من التجار وخمسمائة مقاتل ...))( ) .

– الفتن والحركات الداخلية :

شهدت منطقة البصرة والخليج العربي العديد من الفتن والحركات الداخلية قادت الى توقف التجارة العربية والاضرار بها ، إذ حالت دون وصول المؤن الواردة من الهند والصين عن طريق البصرة الى بغداد ، ومنها حركة الزط( ) .الذين انتهزوا فرصة الصراع بين الامين والمأمون فاستولوا على طريق البصرة فقطعوه عن بغداد واخذوا يتعرضون للقوافل التجارية ويسلبونها ، ويشير (البلاذري) الى ذلك بقوله : ((وكان الناس في بعض ايام المأمون قد تحاموا الاجتياز بهم وانقطع عن بغداد جميع ما كان يحمل اليها من البصرة من السفن))( ).

ولم يقتصر نشاطهم في البصرة بل امتد الى البحرين واليمامة وذلك ما يتضح من الحملات المتعاقبة التي كان يبعثها الخليفة المأمون ابتداءا من عام (هـ/) ، لمحاربة الزط في البصرة والبحرين واليمامة( ) . الا انه لم يظفر بهم ، وذلك لان الزط اتبعوا في حربهم طريقة التفرق بقواربهم السريعة في تلك الفيافي المغطاة بالاهوار والمستنقعات مما يصعب على المهاجم ان يتبعهم فيها( ) . واستمر امرهم حتى سنة (هـ/) عندما لجأ الخليفة المعتصم (- هـ/ -) بحكم تجاربه العسكرية في محاربة الزط الى خطة عسكرية تتفق مع طبيعة هذه المناطق وسكانها فأخمد حركتهم في اوائل عام (هـ/) وبعد ان تمكنوا خلال تلك المدة من شل حركة التجارة في العراق ومنطقة الخليج العربي( ) .

كما كان لقيام حركة الزنج في منطقة البصرة سنة (هـ/) اثر سيء على البحرية للدولة العربية الاسلامية في منطقة الخليج العربي وجنوب العراق ، وذلك بعد تمكن الزنج من الاستيلاء على اهم موانئ المدن التجارية وتدميرها مثل البصرة والابلة وعبادان والاحواز وكان ذلك خلال عامي (هـ/) (هـ/)( ) .

لقد شكل احتلال البصرة والموانئ الاخرى ضربة قوية للتجارة العربية الاسلامية نظرا لما تشكله هذه المناطق من اهمية كبرى لتلك التجارة ، إذ ادى ذلك الى قطع التجارة مع هذه المناطق لمدة اربعة عشر عاما ، بعد ان احدثت حركة الزنج دمارا كبيرا لمدينة البصرة وقتل الكثير من اصحاب رؤوس اموالها( ) . فضلا عن مقتل عدد كبير من اهالي البصرة قدر بثلاثمائة الف قتيل ، ونهب الاموال النقدية الذهبية والفضية والتي قدرت بمليون دينار ذهبي( ) وادت الى تفرق اهالي البصرة في المدن الاخرى( ) .

ولم يتوقف دمار الزنج على مذ قة البصرة ، بل امتد الى بطائح واسط في عام (هـ/) وقيامهم بشتى انواع القتل والسلب والحرق ، وقطعت بذلك الطرق التجارية البرية منها والبحرية بين بغداد والخليج والعربي وخاصة عن البصرة( ) .

اما حركة القرامطة التي ظهرت في منطقة الخليج العربي وبالذات في البحرين سنة (هـ/) ، فتعد من الفتن الخطيرة التي تركت اثارها على النشاط التجاري للدولة العربية الاسلامية ، فبعد ان اسسوا لهم دولة في البحرين منذ أواخر القرن الثالث الهجري /الثامن الميلادي ، قاموا بحملات متعددة للسيطرة على القطيف والاحساء وهجر وعمان والبصرة التي احتلوها في عام (هـ/) ونهبوها وقتلوا الكثير من اهلها( ) . وكذلك سيطروا على ميناء الابلة ، ولذلك قطعوا طريق التجارة التي تسير في الخليج العربي والذاهبة الى البصرة وبغداد التي تخرج منها الى عمان وسيراف والهند والصين وشرق افريقيا( ) ، وكذلك قطعوا الطريق على الحجاج وقتلوهم ونهبوا اموالهم( ) .

واتخذ القرامطة من جزيرة ( ) في البحرين مقرا لجباية الضرائب من السفن التجارية التي تمر في اتجاهها الى البصرة وفي العودة منها ، وكانت نسبة هذه الضرائب مرتفعة على حد قول (ابن حوقل)( ) .

وهكذا اضعف القرامطة بعد احتلالهم البصرة الشريان النابض لتجارة العراق الخارجية ومنفذه على الخليج العربي بفرض سيطرتهم على طريق التجارة الدولية للدولة العربية الاسلامية عبر الخليج العربي ، فأدى الى توقف تلك التجارة ولم تعاود نشاطها الا في عام (هـ/) عندما تمكن السلاجقة من القضاء على دولة القرامطة في البحرين ، مما ادى الى اضعاف نفوذهم في منطقة الخليج العربي( ) ، واستعاد الخليج العربي والبصرة بصفة خاصة مكانتها لتجارية بعد ان ساد الامن والاستقرار السياسي والاقتصادي فيهما .

كان للفتن والحركات الداخلية التي تتعرض اليها المناطق التي تسلكها التجارة العربية الاسلامية اثرا سلبيا على حركة التجارة فتؤدي الى شلها وعرقلتها ، واحيانا تعرض قوافلها للسلب ، وهذا ما حدث اثناء الازمة التي تعرضت لها مدينة خانقو (كانتون) التجارية الصينية سنة (هـ/) ، وادت الى اضطراب الاحوال السياسية في الصين حتى تمكن (هوانج تنشاو) من تقلد امور الحكم في البلاد إذ انتشرت اعمال القتل والتدمير وبالتالي انهاء حركة التجارة ، وقتل اعداد كثيرة من التجار المسلمين واليهود واختفاء معالم التجارة البحرية هناك( ) ، وذلك لعدم استطاعة السفن التجارية الوصول مباشرة الى ميناء كانتون حفاظا على ارواحهم واموالهم ، واخذت السفن العربية والصينية تتلاقى في ميناء (كله بار) على الساحل الغربي لشبه جزيرة ملقا( ) ، وهي تمثل منتصف الطريق بين الصين وعمان ، كما ذكر ذلك (المسعودي) عند كلامه عن (كله بار) بقوله : ((واليها تنتهي مراكب اهل الاسلام من السيرافيين والعمانيين فيجتمعون مع من ورد من ارض الصين في مراكبهم ...))( ) بل اصبح هذا الميناء نهاية الرحلات التجارية البحرية الاسلامية في المشرق ، بسبب الفوضى ، ولكن ظل بعض التجار العرب المسلمين يصلون الى الصين على هيئة افراد وليس على شكل قوافل تجارية( ) .

الخاتمة

- مثل العصر العباسي جانبا مهما في تاريخ المسلمين السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وقد القى هذا الامر بثقله على مسرح الاحداث في حياة المسلمين وتأريخهم الطويل ، ولم يكن النشاط التجاري بمنأى عن هذا التأثر فقد تأثر هذا النشاط كثيرا بالاحداث والتطورات التي تشهدها الدولة سياسيا وجغرافيا .

- كانت سمعة الدولة الاسلامية التي ورثها العباسيون ومن ثم ازدياد حركة التجارة في عهدهم قد ظهر اثره على النشاط التجاري الدولي والمحلي ، فكان طول طرق التجارة البحرية والبرية ومرورها بأقوام مختلفة قد جعل بعض الخطر يحيق بالقوافل التجارية وكان هذا الخطر اما ناتجا عن ظروف طبيعية تحدق بالقوافل ، او ظروف بشرية مقصودة تضر بالقوافل التجارية .
- ان الاخطار الطبيعة التي كانت تحيط بالقوافل التجارية وتؤثر عليها سلبا لم يكن للبشر القدرة على صد هذه الاخطار او الاحتراز منها في بعض الاحيان ، بينما تكون الاخطار البشرية افعال مقصودة غايتها اغتصاب اموال التجارة المنقولة من مكان الى آخر ، لذلك عانى النشاط التجاري في العصور العباسية بعض النكبات التي تسببها الكوارث الطبيعية ؛ من اعاصير ووجود طرق جبلية وعرة وعواصف شديدة من جهة ، ووجود اللصوص والقراصنة في البحر ، وكثرة الاضطرابات والفتن الداخلية من جهة اخرى .
- ان وجود المعوقات الآنفة الذكر ولا سيما البشرية منها قد جعل من الخليفة العباسي المطيع لله (هـ/ - هـ/) ان يكون حريصا على تأمين طرق التجارة من اخطار اللصوص إذ شكل فرقا من الرجال للمحافظة على امان طرق التجارة ليلا ونهارا ،وكانت الخلافة العربية العباسية مهتمة جدا بتقوية اسطولها البحري لحماية السفن التجارية من خطر القراصنة فزودت القوافل التجارية البحرية بالمقاتلة .
- ان عدم معالجة المعوقات التي تؤثر على النشاط التجاري بشكل سلبي ، وخصوصا تلك المعوقات التي يمكن معالجتها ، يؤثر على الحركة التجارية ، وممكن ان يؤدي ذلك الى توقفها لذا لا بد من وجود الامن والاستقرار السياسي والاقتصادي لكي ينجح هذا النشاط وتتحقق الفائدة المرجوة منه .

هوامش ومصادر البحث ومراجعه

( ) ابن خرداذبة،عبيد الله بن عبد الله(هـ/):المسالك و الممالك،تحقيق : غويه (ليدن،بريل،) _ ؛الهمداني،الحسن بن أحمد(هـ/):صفة جزيرة العرب،تحقيق:محمد بن علي الاكوع،(بغداد،مطابع دار الشؤون الثقافية،) _ الصقار ، فؤاد محمد: جغرافية التجارة الدولية ،(مصر منشأة المعارف بالاسكندرية) العاني ، عبد الرحمن :((تحول الطريق التجاري من الخليج العربي الى البحر الاحمر وازدهار عدن)) (مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد( ) .

( ) الدوامة:حركة تحدث في المياه تشبه الدوار بالرأس:ينظر:ابن منظور،محمد بن مكرم (هـ/):لسان العرب،(بيروت،دار صادر) / .

( ) الرامهرمزي ، برزك بن شهريا (ت ، منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) : عجائب الهند

وبره وبحره وجزايره ،(لي مطبعة بريل ،) .

( ) حوراني،جورج فضلو :العرب و الملاحة في المحيط الهندي،ترجمة: .السيد يعقوب البكر، مراجعة : .يحيى الخشاب،(القاهرة،مطابع دار الكتاب العربي،) ؛الالوسي،عادل محيي الدين :تجارة العراق البحرية مع أندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري،(بغداد،دار الحرية للطباعة،) ؛شهاب،حسن صالح:فن الملاحة عند العرب،(بيروت،نشر دار العودة) .

( ) العاني ، عمان في العصور الإسلامية الاولى ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الإسلامية (بغداد دار الحرية للطباعة ،) .

( ) الجاحظ ،عمرو بن بحر (هـ /) : البخلا ، تحقيق: طه الحاجري،(القاهرة المعارف) .

( ) الرامهرمزي ، م. .

( ) الرامهرمزي ، م. ؛ ابن جبير ، محمد بن احمد (هـ /) : رحلة ابن جبير ،(بيروت دار ومكتبة الهلال ،) .

( ) القزويني ، زكريا بن محمد (هـ /) : عجائب المخلوقات ،(بيروت دار صادر) .

( ) ابراهيم بن محمد (ت، القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي): المسالك والممالك، تحقيق : الدكتور محمد جابرعبد العال الحسيني ، (القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي) _ .

( ) أيله: في الطريق بين مكة ومصر ، وهي اول حد الحجاز ، مدينة جليلة القدر على ساحل البحر المالح يجتمع فيها حجاج مصر والمغرب ، وبها التجارة الكثيرة ، واهلها اخلاط من الناس ، وسميت بأيله بنت مدين ، قالوا : وهي القرية التي كانت حاضرة البحر المذكورة في القرآن الكريم : ينظر: الحميري ، محمد بن عبد المنعم (هـ/) : الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ،(بيروت ، دار نشر القلم للطباعى ،) .

( ) الصبا : وهو من اسماء الريح نافعة لإلقاح الاشجار : ينظر : الضامن ، حاتم صالح (الدكتور) : ((رسالة في اسماء الريح لابن خالويه المتوفى (هـ))) ، نصوص في اللغة ، تأليف مجموعة من الاساتذة ، ط (بغداد دار الشؤون الثقافية العامة ،) .

( ) الدبور : وهو من اسماء الريح للعذاب والبلاء : ينظر : الضامن ، م. .

( ) الاصطخري،م. .

( ) سيراف : ميناء على الشاطئ الشرقي للخليج العربي وهو مركز تجاري مهم ، تلتقي عنده السفن

المحملة القادمة من الشرق الاقصى وشرق افريقيا لتفرغ بضائعها ومن ثم نقلها الى البصرة ثم الى بغ : ينظر : حمدون ، شذى ادريس : التجارة في الخليج العربي في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ، كلية الاداب،) _ .

( ) المقدسي البشاري ، محمد بن محمد (هـ /) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن مطبعة بريل ،) .

( ) متز ، ادم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريده (بيروت دار الكتاب العربي ،) / .

( ) الكشاكل:مفردها كشكول،وهو جراب المكدي(الشحاذ) يجمع فيه رزقه.من الفارسية(كش) أي الجر أو السحب،و(كول)أي الكتف:ينظر:ضناوي،سعدي(الدكتور):المعجم المفصل في المعرب و الدخيل، (بيروت،دار الكتب العلمية،) .

( ) بن بطوطة ، محمد بن ابراهيم الطنجي (هـ /) :رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار ،ط ،تحقيق:الدكتور علي المنتصر الكتاني، (بيروت،مؤسسة الرسالة،) / .

( ) الصولي ، محمد بن يحيى (هـ /) : اخبار الراضي بالله والمتقي بالله ، (مصر مطبعة الصاوي ،) _ .

( ) مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، تحقيق : نبيلة عبد المنعم داود ،(بغداد مطبعة الارشاد ،) / _ .

( ) متز ، م. / _ .

( ) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (هـ /) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، (الدكن مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، هـ/) / _ .

( ) متز ، م. / .

( ) مجهول ، م. / .

( ) الدوري ، عبد العزيز (الدكتور) : تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ،) .

( ) فيد:منزل بطريق مكة:ينظر:ياقوت،شهاب الدين الحموي (هـ/):معجم البلدان،قدم له:محمد عبد الرحمن مرعشلي،(بيروت،دار احياء التراث العربي)،مج / .

( ) الرحلة ، / .

( ) . / .

( )فهمي ، نعيم زكي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ،(القاهرة الهيئة المصرية

العامة للكتاب ،) .

( ) الكرج:أقوام من الهند يرقصون و يلعبون بهياكل خشبية مصنوعة على هيئة الحيوانات :ينظر :ابن منظور،م. / .

( ) سقطرى :جزيرة عظيمة فيها عدة مدن و قرى و هي شمال عدن تكون الى بر العرب أقرب منها الى بر الهند:ينظر :ياقوت،م. مج / .

( ) الرامهرمزي ، م. متز ، م. / .

( ) . .

( ) الرامهرمزي ، م. _ .

( ) البحرين : طلق العرب اسم البحرين على الاقليم الممتد على ساحل الخليج العربي الغربي بين البصرة وعمان ، فهو يشمل ما يعتبر في الوقت الحاضر؛ الكويت ، والاحساء، وقطر ، وجزر البحرين الحالية المعروفة قديما بإسم أوال وهي متصلة غربا باليمامة وشمالا بالبصرة وجنوبا بعمان : ينظر : النجم، عبد الرحمن عبد الكريم : البحرين في صدر الاسلام واثرها في حركة الخوارج ،(بغداد دار الحرية للطباعة ،) .

( ) ابن خرداذبه ، عبيد الله بن عبد الله (هـ /) : المسالك والممالك ، تحقيق : دي غويه (ليدن مطبعة بريل ،) .

( ) المسعودي ، علي بن الحسين (هـ /) : التنبيه والاشراف ،(بيروت دار ومكتبة الهلال ،) .

( )حوراني،م. .

( ) . / .

( ) . / .

( ) . .

( ) . .

( ) الرفاعي،عبد الباسط مصطفى مجيد(الدكتور):((وسائط النقل المائية ومسالكها خلال سني الخلافة العباسية هـ/ - هـ/)) (مجلة سر من رأى ، جامعة تكريت : كلية التربية سامراء ، المجلد( )، العدد( ) هـ/) .

( )ابن بطوطة ، م. / .

( ) . / .

( ) . / . البندر : المقصود هنا ، مرسى السفائن ومربطها : ينظر : قاموس المعتمد ، (بيروت : دار صادر هـ /) .

( ) . .

( ) ابن حوقل ، محمد بن علي (هـ/) : صورة الأرض ،(بيروت : منشورات

دار مكتبة الحياة ،) ؛ ابن سيده ، علي بن اسماعيل (هـ /) :
المخصص،(بيروت : دار الفكر) / .
( ) ابن سيده ، م. / .
( ) علي بن الحسين (هـ/) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : الشيخ قاسم
الشماع الرفاعي ، (بيروت دار القلم ،) / السامر، فيصل الاصول التاريخية
للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الأقصى، (بغداد وزارة الإعلام العراقية ،)
( ) الـ : اسم معرب لشعب هندي قديم يميل لونه الى السواد والسمرة النحاسية القاتمة ، وموطنها
الأصلي بلاد السند والسواحل الممتدة غربي الهند ، هاجروا تحت ظروف واسباب مختلفة
الى ايران والخليج العربي والى جزيرة مدغشقر ، والساحل الشرقي الافريقي ، ولما انتشر
الاسلام في تلك الجهات ، اسلم الزط وانضموا الى قبائل بني حنظلة : ينظر : العبادي ،
مختار :((حركة الزط في العصر العباسي)) ، البحوث المقدمة الى مؤتمر دراسات تاريخ
شرق الجزيرة العربية ، اتحاد المؤرخين العرب ، قطر : لجنة تدوين تاريخ مصر
_ .
( ) البلاذري ، احمد بن يحيى(هـ/) : فتوح البلدان، (بيروت مكتبة الهلال ،)
.
( ) ابن عبد الحق ، عبد المؤمن البغدادي(هـ/): مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة
والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي (القاهرة دار احياء الكتب العربية ،) /
( ) . / .
( ) البلاذري ، م. .

( ) ابو الفداء ، اسماعيل بن محمد (هـ/) : المختصر في اخبار البشر ، (القاهرة،
المطبعة الحسينية المصرية ، هـ/) / ؛ السامر ، م. _
( ) ابن الاثير ، علي بن محمد (هـ/): الكامل في التاريخ ، (بيروت دار صادر ،
) / .
( ) الحميري ، م . .
( ) الطبري ، محمد بن جرير (هـ/) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابوالفضل
ابراهيم ، (القاهرة دار المعارف ،) / .
( ) ابو الفداء ، م. / ؛ حوراني ، م. .
( ) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ؛ ابن الجوزي ، م. / _ .
( ) الطبري ، م. / _ .
( ) ابن الاثير ، م. / .

( ) . .

( ) ابن الجوزي ، م. / _ ؛ ديموبين ، موريس. : النظم الاسلامية ، ترجمة :فيصل السامر وصالح الشماع ، (بيروت دار الجامعيين ،) .

( ) متز ، م. / ؛ حوارني ، م. .

( ) المسعودي، مـ الذهب ،ج / ؛ كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليانوفتشي : تاريخ الادب الجغرافي ، ترجمة:صلاح الدين عثمان هاشم ،(القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،) / .

( ) المسعودي ، مروج الذهب ، / .

( ) . / .